



كنت أُعد مقطع (حين أرحل) من برنامج (وسم)اليوتيوبى عندما ألحّت على فكرة اللحظة الأخيرة في الحياة، وماذا سيكون إحساسى تجاهها؟ ما الذى سيتغير في رويني وتفكيرى وأولوياتى؟ ولذا كتبت تغريدة: (أتمنى أن أكون رتب أولوياتي بشكل مختلف).. بينما اقترح الجميل أبو زياد: (أتمنى أن أكون قلت الكلمة الأخيرة)!

وظلّ هذا الشعور يلاحقنى وأنا أردد حديثاً نبوياً كريماً حفظته في الصّغر ضمن الأربعين النووية: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٍ**»، وكان ابن عمر يقول إذاً أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

(رواية البخاري).

حين قرأت ملخصات لكتاب: (أكثر خمسة أشياء تندم عليها عند موتك)؛ للممرضة الاسترالية (بروني وير)، أحسست أنني ظفرت بكنز، فهي كانت تصحب المرضى وكبار السن؛ الذين يعيشون أواخر أيامهم، ويحتاجون إلى العناية الخاصة أو ما يسمى بالرعاية التلطيفية)، وتسألهم عن أحلامهم وأماناتهم، وتُدون ما تسمع.

توصلت إلى خمسة أشياء يمتناها المرء عند موته:

1- أتمنى أن أكون عشت حياتي كما أريد أنا لا كما يريد الناس، أن يكون سعيه لتحقيق أحلامي وليس لتحقيق أحلام الآخرين.

يعنى: تحجيم أو عزل تأثير من حولك عليك حين يكون سبباً في تجاهل متطلبات الذات، و حاجاتها، وأمانيتها، وأحلامها.

2- أتمنى أن أكون عملت بشكل أقل، فالانهماك المفرط في العمل يكون على حساب الراحة والسعادة، وقد تكسب المال أو المنصب أو الشهرة وتختسر ذاتك!

3- الحفاظ على الأصدقاء، فهم أشجار الحياة وعُدة النواب، ولا يجب أن يشغلك عنهم شاغل؛ خصوصاً النجاح، والثروة، والحضور الاجتماعي.. وحين تقابل الناس وأنت في طريقك للصعود فعليك أن تهتم بهم؛ لأنك ستقابلهم في طريقك للنزول!
فـ «**حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِّنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ**».

4- التعبير عن المشاعر؛ سواء الإيجابي منها؛ بالإفصاح عن الحب، والرضا، والإعجاب، والشوق، والامتنان.. أو السلبي؛ بالعتاب، والنقد على مواقف حدث فيها أن أساء إليك أحدهم أو تخلى عنك أو غدر بك، فلا ترك الألم (بُقرق) بقلبك بل أفسح عنه بنوع من البوح؛ الذي يخفف الضغط والكبت الذي تشعر به.

5- الإحساس بالسعادة والاستمتاع بالأشياء المتاحة، وإدراك أن السعادة ليست شيئاً ننتظره بل علينا أن نذهب إليه ونكتشفه في تفاصيل الأشياء وصفائرها!

هذا تلخيص من الذاكرة، ولم يتح لي أن أطلع على الكتاب كاملاً، ولذا فما كتبه اقتباس أضفت إليه وفسرته حسب معلوماتي السابقة.

وبقي أن أشير لثلاثة أمور لابد أن يعاتب المتهي للرحيل نفسه بشأنها:

الأول: الإيمان بالله وطاعة أوامره والتزام شريعته، فالمؤمن المستقيم الصادق تتنزل عليه الملائكة في لحظة الفراق: {**أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**}

(30) سورة فصلت.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ**». قالوا وما ندَمَتُه يا رسول الله قال: «**إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ أَزْدَادًا وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ نَزَعًا**» (رواية الترمذية).

قد يغفر الله ذنبك، ولكنك قد لا تغفر لنفسك حين تضيق عليك الفرص وتتذكر صحائف مملوءة بالذنب والموبقات تجل من ملاقاة الله بها!

الثاني: الإحسان للخلق، ونفع الناس، و فعل الخير لهم.. فالله يحب المحسنين، و{**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**}

(60) سورة الرحمن.

أن تُحسن لهم بعقلك؛ بالمشورة الصادقة، وبقلبك؛ بحب الخير لهم، والسلامة من الحسد، والحق، والشماتة، وب Lansanك؛ بالمواساة، والتعزيز، والدعم المعنوي، والدعاء، والثناء، وصنوف السخاء، والكرم اللغظي الجاد والمعتبر عن مكنون صافٍ وباليد؛ بالمساعدة والعطاء بكل صوره بحسب ما أدرك الله عليه: {**وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَتْنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدِقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**}

(10) سورة المنافقون.

حرر الرابع بن خثيم في داره قبراً، وكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه واضطجع ومكث ما شاء الله، ثم يقول: (رب ارجِعُونَ لِعِلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) يرددتها ثم يرد على نفسه: يا رب، قد رجعناك فاعمل!

في العادات السبع وتجارب الناجحين من أمثال "ستيف جوبز" أن من أسرار النجاح أن تنطلق للقمة وعينك على نهاية الحياة؛ ليكون الموت حادياً للإنجاز والعمل والتسامي، وليس مدعاه للقواعد والزهد السلبي.

الثالث: التزام الأخلاق الكريمة ومنها: الصفح، والتسامح، والنسيان، واجتناب الطواحين الكلامية؛ التي لا تقدم ولا تؤخر، ولكن فيها يبيض الشيطان ويُفرخ، ويدق إسفين العداوة بين المتحابين أو المتجانسين، قال تعالى: {**وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيهِ فَاقْصُصْ** الصَّفَحَ الْجَمِيلَ}

(85) سورة الحجر.

أغلبية ساحقة من الناس تعيش لحظتها وكأنها السرمد ولا تفكر في العواقب، ولذا مدح الله - سبحانه وتعالى - : {إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}، وقال: {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالصَةٍ نُكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنِ الْمُصْنُطَفَينَ الْأَخْيَارِ} .
سورة ص.

موقع الشيخ سلمان العودة

المصادر: